رواية
واقعية
خالد
الجرجيني
صور
متشابهة
دار النسيمة
للنشر الإلكتروني

صور متشابهة

اسم الكتاب: صور متشابهة

اسم الكاتب: خالد الجرجيني

نوع العمل: رواية واقعية

الرقم الدولي EBIN: 16-1-223-230320

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الأولى: 2023م / 1444هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934

دار بسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)

Basma24design@gmail.com

المملكة المغربية

كل الحقوق محفوظة

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

صور متشابهة

رواية واقعية

خالد الجرجيني

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول: جرح اللسان

في زاوية من البيت الصغير يجلس «عابد» خافضًا رأسه، ويبكي بكاءً تنفطر له القلوب، وتذرف له العيون، ألمًا وشفقةً على حاله إثرَ خلاف حاد بين أبيه وأمه، اللذين نسيا أمر ابنهما وبدآ بالشجار مجددًا على أتفه الأمور.

ومع ارتفاع صوت صراخهما، فإن بكاء الطفل يزداد بشدة.. دموع تتساقط من الداخل، لا يعرف كيف يوقفها، أي دموع؟ دموع أفقدته شعوره بالحياة وبالفرح والسعادة كباقي الأطفال، هي التي تجعل منه ذاتًا تنزوي إلى الظلام والعتمة في فضاء ينسج خيوطه وحده دون رغبة في الحديث.. في نظره الصمت هو الشيء الوحيد الذي بقي له في هذه الحياة.

من جهة أخرى، أمه «السعدية» تخفف عنه تارة وتارة أخرى لا تكتفي حتى هي بمواساة نفسها، أما والده «صابر» فغالبا ما تراه في أسواق المدينة حاملًا قربة الماء المصنوعة من جلد الماعز، يجول بها داخل

السوق وخارجه، مُصدِرًا بذلك رنينًا لجلب الانتباه بواسطة الجرس النحاسي.. أكواب قد تظن للوهلة الأولى أنها من الذهب الخالص.

يرتدي لباسًا مزركشًا باللون الأحمر، مع طربوش دائري يقيه من ضربات الشمس.. ولكيلا أنسى، فعمله في الأسواق لا يجني منه مالًا كثيرًا، لأنه يسقي الناس مجانًا، فمن تفضل عليه من عنده، شكر له، ومن لم يقدم له شيئًا، فلا يحاسبه أبدًا.. إلا أنه كذلك في فصل الصيف، يكون مدعوًا من البعض ليحضر معهم في أعراسهم بمقابل ماديٍّ طبعًا، فيسقي الناس، كبيرهم وصغيرهم، بابتسامته المعهودة، وطيب الخاطر.

أما «عابد»، الابن الوحيد، فيذهب صباح كل خميس إلى السوق، لكن الغريب في الأمر أنه يشعر بالوحدة والانعزال عن الآخرين، رغم الضجيج وكثرة القيل والقال.. ربما يريد أن يرسم عالمه الخاص بنفسه وبقلمه، عالمًا ينبثق فيه النور، ويحل به الصمت والسكينة التامَّان، إلا أنه ينصدم بواقع مرير وصعب، واقع يتجرد من أدنى ذرات الاحترام والأخلاق، واقع كان ضحيتَه «عابدٌ».

أمه شقراء اللون، وترتدي جلبابًا نسائيًّا أزرقَ، لكن رغم كل الظروف، فلا تفارق البشاشة وجهها. تعمل ربة بيت؛ لأن عمل الأب لا يمكن أن

يسد كل حاجيات المنزل، لذلك تضطر إلى إعداد بعض الحلويات الشهية، لتبيعها كل سوق لأحد المخابز.

فقدت الحنان منذ صغرها، وذلك لوفاة والديها إثر حادثة سير غريبة على متن الحافلة، إلا أنه بفضل الله لم يصبها أي مكروه، كانت حينها مشرفة على التاسعة من عمرها، تذكرت الشيء القليل من هذه الفاجعة، لكن البقية سمعتها من بعض النسوة.

تسعة وأربعون شخصًا هو عدد الذين ماتوا في هذه الحادثة، فالموت حصد الكل باستثناء المقعد رقم خمسين، فقد تجاوز عنه، لعل الأيام تنسيه ألم الذكريات ومعاناة الفراق.

رغم أن «السعدية» فقدت أعز ما عندها في تلك المدة، فإنها استعادت سعادتها بولادة جديدة، وبأن الموت غض الطرف عنها.

بعدها انتقلت للعيش مع خالها، وكانت كل يوم جمعة تذهب لقبريهما، مستظلين تحت شجرة صغيرة من النخيل، وينامان نومًا عميقًا جنبا إلى جنب.. ربما يشعر الزوجان بالدفء والتناغم.. صحيح أنهما ماتا، لكنهما يبقيان أحياءً في ذهن «السعدية»، ويظهران في أحلامها، ينصحانها ويواسيانها.

عند كل زيارة لهما تشتري وردتين، وتختار اللون الأحمر لهما، ثم تضعهما فوق قبريهما، لتقول في قرارة نفسها أن حبها لهما لن يزول ولن يضمحل، لكن رغم كل هذا، فتغمرها السعادة من حين إلى آخر عندما تتذكرهما.

والدها له لحية سوداء داكنة، وعمامة لونها أبيض وأخضر، يدلان على الصفاء والطبيعة الإنسانية، ويرتدي جلبابًا أبيضَ مغربيًّا أصيلًا، ليس هذا فقط، فالمعاملات كالروح لا تموت، تذكرته عندما قدم لها الكثير من الحلوى، لتوزعها على صديقاتها اللواتي تنبع منهن براءة الطفولة...

أما من جهة أمها، فيطول الحديث، لكن سنختصر الكلام قدر المستطاع.. كانت أمها جميلة خَلقًا وخُلقًا، لها عينان زرقاوان، وشعر أسود طويل، وكانت كل يوم تهتم بـ«السعدية» أشد الاهتمام...

لنترك «السعدية» تتحدث شيئًا ما عن أمها الغالية على قلبها، تقول: «تذكرت أمي، ودموعي لا تجف من وقع الجرح الذي سقاني جرعة من الألم المستمر، لكن لن أنسى الذكريات، بسيطة لكن لها وقع إيجابي عليَّ وعلى حياتي أيضًا. كانت أمي ماشطة بارعة، تمشط لي شعري، وتضيف بعضًا من الزيت ليسهل مشطه، وفي بعض الأحيان تنقش لي يديّ

بالحناء كعروسة جميلة لحظات زفافها. عندما تبتسم يضيء القمر بين أسنانها الجميلة».

كانت تتحدث إلى نفسها وهي تضحك باستحياء شديد، قد يظن الشخص الذي يراها أنها حمقاء، وهي ليست كذلك أبدًا، ترى أن الذكريات هي ما تُنسِي الإنسانَ همومَه وأحزانه.

في ركن من البيت، تجلس «السعدية» على زربية أمها المتوفاة، متكئة على وسادة أبيها الغالي على قلبها، وهي تصنع لابنها قبعة جميلة من بعض الأقمشة. وبينما هي على ذلك الحال، يدخل «عابد» فجأة ويقرأ السلام قائلًا: «مرحبا أمي، ماذا تصنعين؟»، ترد أمه مبتسمة: «أصنع هذه القبعة لابن الجيران لتحميه من ضربات الشمس»، ثم يرد متلعثمًا وتنتابه الغيرة شيئًا ما: «وماذا عني؟»، بعدها مباشرة تحضنه وتهمس في أذنه قائلة: «فقط كنت أمازحك، إنها لك»، وفي الأخير تعده أن تعطيها له في اللحظة التي تنهي حياكتها، ثم يقبّل يد أمه وينصرف فرحًا.

كان يدرس في الصف الخامس الابتدائي، تلميذ غامض لكن يحب المدرسة، وكانت أفضل مادة في نظره هي التربية التشكيلية، لأنه يحب أن يرسم كل شيء، وبالأخص «ياسمين»، زميلته في الصف، التي تسكن بالقرب من منزله. عندما يكون ذاهبًا إلى المدرسة ينتظرها حتى تخرج،

فيـذهبان ويعـودان معًـا، إلى أن أتـى ذلـك اليـوم الـذي قـرر فيـه والـد «ياسمين» أن يرحل إلى مدينة أخرى إثر قبول طلبه كشرطي للانتقال، فكان ذلك اليوم أسوأ يوم في حياة «عابد»، فلم يتحمل غيابها عنه، وما عاد يذهب إلى المدرسة كالمعتاد، نعم.. إنهم الأطفال عندما يحبون!

أما الوالد عندما أدرك أن ابنه ما عاد يريد أن يعود للمدرسة، فقد قرر أن يتركه مع أحد النجارين، ليتعلم منه ما ينفعه مستقبلًا. نهض الابن بسرعة خاطفة من نومه ليسمع أنين أمه، كان يزلزل أذنيه الصغيرتين، وكانت ترتجف شفتاه، وتدمع عيناه، من شدة تأثره بوالدته، التي يكنُّ لها حبًّا عظيمًا.

بعدها يسير نحو النافذة ببطء ويفتحها ليرى قمرًا منيرًا بضوئه الوهاج الجميل، وفجأة يرى على القمر والده يقتل أمه بسكين! ودماؤها تنسكب من السماء!! لكن المطر باغت «عابدًا»، وأرجعه إلى صوابه، ثم أغلق النافذة وحاول أن يخلد للنوم، لكن هذا الأخير أقسم ألا ينام «عابد»، وتركه يئن أنينًا صامتًا. إن «عابدًا» في هذه اللحظات يموت موتًا بطيئًا، ويتذكر كل ما فعلته أمه لأجله، لكنه بات يتساءل بشكل غريب: «لماذا والدي يعنّف أمي دائمًا؟ ولماذا هي تقبل ذلك ولا تبدي أي ردة فعل؟!»

لم يتوقف فكره للحظة، كأنها شمعة أوقدت في عقله، ولا يستطيع إطفاءها، لكنه بعد ساعتين من السهر استسلم لنوم عميق، رغم انكماشه مثل قط صغير يشعر بالبرد، ولم يجد أمه لترضعه!

الفصل الثاني: الأب والضمير

كانت الأمور تسير على ما يُرام، رغم كل الظروف القاهرة التي تمر بها هذه الأسرة الصغيرة، فإنه كان هناك أمل في الحياة الهادئة. يُقال إن الإنسان كثير الصمت، إما لأنه يحمل حلمًا كبيرًا وإما همًّا كبيرًا، وقد كان هذا صائبًا لأنه في الحقيقة، «السعدية» تحمل همًّا عظيمًا جعلها تفقد حلمها العابر في إسعاد أسرتها، همًّا لا تعلم حتى هي حقيقته، لكنها تعاني في صمت رهيب، ولا تريد البوح لأي أحد عمَّا تشعر به.

إنها أعراض مرض رهيب وفتاك، فقد فقدت وزنها بشكل مفاجئ، وبدأت تتعب بسرعة من دون أن تقوم بمجهود كبير. أما فيما يخص التغذية، فقد فقدت شهيتها للأكل، وكانت تتعرق دائمًا في الليل وبشكل مفرط، وكانت تشتكي من ألم شديد في العظام.

في ذلك اليوم، أقصد صباح يوم الخميس، كانت «السعدية» وحيدة في المنزل إلى أن شعرت بألم شديد ليس كالمعتاد، ظلت تصرخ بأعلى صوتها، ولحسن الحظ أن إحدى جاراتها سمعتها، فاستنجدت هي

الأخرى بزوجها المسمى «عبد الله»، فأخذاها إلى مستوصف الحيّ، الذي لم يكن متوفرًا بتاتًا على التجهيزات اللازمة.

بعدها، تم نقلها على وجه السرعة على متن سيارة الإسعاف إلى أقرب مدينة، والتي تبعد تقريبًا ساعة ونصف. ورغم أن «السعدية» قد أُغمي عليها، فإن شفتيها لم تستسلما أبدًا، وكانت تردد: «اسمح لي بني»، والدموع تتسلل من عينيها وتحلف ألا تجف. أدخلوها غرفة العمليات، إلا أن الأطباء لم يشرعوا في العملية بسبب عدم تسديد المبلغ المحدد، ورغم أن زوج الجارة تلك ظلّ يؤكد لهم بأنه سيأتي لهم بالمال في أجل لا يتعدى يومين، فإنهم رفضوا رفضًا قاطعًا.

ألهذه الدرجة أصبحت أرواح الناس تُباع وتُشترى بالمال؟ هل نحن من نصنعه أم هو ما يصنعنا؟ أليست فينا ذرة إيمان ترجعنا إلى الصواب، وتقول لنا أن التضامن من شيم الرجال، وأن المال لا يدوم له حال؟! المهم في كل هذا أن «عبد الله» عاد لجلب المال، فعرض ذلك على زوجها لكنه رفض!

حتى إن افترضنا أنه ليس له المال الكافي، لكن أليس له قلب نابض بالحياة؟! قلبه كالحجر، أو أشد منه قسوة، وكيف له أن يتخلى عنها الآن؟ وهي التي قاست معه السنين، وعانت معه كثيرًا.

بعدها بساعة ونصف تقريبًا من البحث المرهق الذي قام به «عبد الله» وزوجته لجمع المبلغ الضخم لإجراء العملية، رن هاتف «عبد الله» فأجاب ليسمع خبرًا وقع على قلبه كالصاعقة، إنه الموت!! لقد فارقت «السعدية» الحياة بعد صراع أليم مع المرض، إلا أن الشيء الذي حز في قلب «عبد الله» هو أن من اتصل به من المستشفى ليخبره بالوفاة، ببرودة وبصوت غلبت عليه الشدة والخشونة. بعدها، عاد للمستشفى بعد أن جلب معه كل الأوراق الخاصة بـ«السعدية»، وقد استفسر «عبد الله» عن سبب الوفاة، فأجابه الطبيب بأنه مرض السرطان في مراحله المتقدمة، وما هي إلا لحظات حتى تم نقل جثمانها عبر السيارة الخاصة بالموتى إلى المكان الذي تعيش فيه.

بحمد الله، تم الوصول قبل صلاة العصر، فتحدث «عبد الله» مع سائق السيارة بأن ينتظره قليلًا، ليعلم الناس، صلى «عبد الله» مع الجماعة في مسجد الحي، وعند الانتهاء من الصلاة، لم يستطع قول ما حدث، لأن لسانه عجز عن التعبير في ظل ما رآه من تلك الصدمة، فجاء ذلك على لسان مؤذن المسجد، بعدما روى له «عبد الله» ما حدث.

كانت الجنازة مهيبة، فكل من سمع الخبر لبّى النداء، إنها السيدة الطيبة التي لم يسمع عنها سوء، كانت سيدة زمانها فعلًا. لكن أين زوجها وابنها الذي أصبح يناهز 16 سنة؟

الشيء الصعب في كل هذا، كيف سيتم تمرير الكلام الصادم للابن بالخصوص؟ وهو الذي كان يحب أمه كثيرًا. أما الزوج فلم يبدِ أي اهتمام لما حدث، رغم الموت، ورغم الصخب، فظل جالسًا في البيت واضعًا رجلًا فوق الأخرى، ولا يكترث أبدًا.

كانت زوجة «عبد الله» تحمل همًّا كبيرًا لـ«عابد» عندما سيسمع الخبر، وكيف ستقول له ما حدث؟ حتى إنه لم يعد صغيرًا لكي تباشره بالقول مثلًا أن والدته رحلت عن هذه الحياة، وأنها ستعود عما قريب.

بعدها دخل «عابد» إلى البيت كعادته، وأخذ بيد أبيه وقبّلها. هذا الأخير أكد لابنه، من دون مقدمات، أن أمه ماتت، وأن الدفن سيُشرع فيه بعد قليل.

شعر «عابد» بأن الدنيا حوله تدور، كاد أن يسقط أرضًا إلا أنه همَّ بالجري تجاه المقبرة، وهو في طريقه إليها، وشريط الذكريات يمر أمام عينيه في لحظات خاطفة، وبدأ يستغرب قائلًا: «لماذا ماتت؟ وكيف

ذلك؟»، ولا يصدق ما حدث، كان يسقط أرضًا، ثم ينهض ويجري تارة أخرى، ودموع عينيه لا تعرفان التوقف ولو للحظة.

كانت دموعه تنسكب على الأرض، دموع بريئة وحزينة، حتى وصل إلى المقبرة ورأى الكل في بياض، كان يطلب منهم رؤيتها لآخر مرة، لكنهم منعوه من ذلك. اللحظة التي كانت تنزل داخل القبر، وقلب «عابد» يضيق ويعتصر ويختنق شيئًا فشيئًا.. إنها أمه، كيف لا يكون على هذا الحال؟ لكن دوام الحال من المحال كما يُقال. تذكر للحظات كل شيء، الأشياء الجميلة التي فعلتها والدته من أجله. بعد الانتهاء من الدفن كانت كلمات الحزن والمواساة تتكرر بشكل سريع:

«إنا لله وإنا إليه راجعون، أجارك الله في هذه السيدة، يا رب أكرم نزلها وارحمها».. نعم، إنها كلمات نابعة من قلوب الناس الرحيمة، إلا أن «عابدًا» لا يعرف حتى كيف يرد عليها! فالصدمة انتزعت منه الكلام والحديث والمرح، وقدمت له الصمت والسكينة والقرح، المصائب اجتمعت ونزلت على قلب «عابد» كالصاعقة، والمقبرة خلت من أناسها خلا «عابد»، الذي جلس بجانب قبر أمه يبكي متأثرًا.

فلا يحسبن الإنسان أن الفراق هين، فهو يكسر القلوب ويزرع في الداخل حروبًا، حروبًا متعلقة بالوحدة التي غمرته ألمًا، فهذه الحقيقة لا يمكن أن نغير فيها شيئًا، لكن من جهة أخرى يمكننا أن نغير ذواتنا من الداخل، فالذي ينظر إلى الداخل يصحو، والذي ينظر إلى الخارج يحلم، لأن الحياة المادية تكتنز شيئًا كبيرًا من الخداع... أما إذا تصالح الإنسان مع نفسه وداخله، فقد رضي عن ذاته كما هي، من دون أي اهتمام بالعالم الخارجي.

لا ننكر أن هذا الأخير فيه نعيش ونعمل، لكن من جهة أخرى، القناعة والرضا بالذات يجعلانك تتجاوز كل الهموم في هذه الحياة. فهل سيدرك «عابد» أن هذه الحياة لن تدوم؟ وهل سيكون راضيًا عن نفسه؟

كان «عابد» متوسّدًا قبر أمه المتوفاة، وقد كان متحسرًا ونادمًا على ما فات، على الأشياء التي لم يقدمها لأمه، وهي على قيد الحياة، تمنى «عابد» لو أن كل ما رآه كان حلمًا فظيعًا سيضمحل عند استيقاظه من النوم.. ليت الأمر على هذا الحال، لكن هذه المرة تنام نومًا خالدًا وأزليًا، وبدأ يصرخ ويقول: «لماذا الطيبون هم من يعانون، والأشرار القذرون يعيشون حياة الراحة والمجون؟!».. كان يكرر هذه الكلمات من دون توقف، إلى أن غابت الشمس وحل الظلام.

بعدها يقرر العودة إلى البيت.. وهو في طريقه تظهر له امرأة ترتدي لباسًا أبيضَ، وتنادي عليه باسمه! بينما يقترب منها شيئًا فشيئًا، وملامح وجهها تظهر رويدًا رويدًا، إنها أمه «السعدية» تعود إلى الحياة، فرح «عابد» كثيرًا ونسي كل شيء، ثم همّ بعناقها، فارتطم وجهه بعمود كهربائي، لم تكن إلا تخيلات لا أقل ولا أكثر!!

عندما تموت الأم، يموت معها كل شيء، ويختفي بذلك جزء كبير من سعادتنا. كل هذا خلّف أثرًا وجرحًا كبيرين أشد من وقع السهم؛ فهذا الأخير إما سيقتلك، وإما سيمنحك فرصة في النجاة، إلا أن الموت أخطر أنواع العذاب على الإطلاق، موت الحبيب على القلب ليس بالأمر الهين.

هل تعرف الإحساس الذي كان يحصر تفكير «عابد» ويقتله ثم يحييه ثم تتوالى هذه العمليات كل ساعة، كل دقيقة، كل ثانية؟! أتعلمون حتى أجزاء هذه الثانية لا تسمح له بالنوم ليلًا. تلك الليلة لم تمر، وليتها ما أتت كيلا يتوجع «عابد»، ويشعر بضيق وتعب نفسيين، جعلاه يتذكر تلك الليلة التي تشاجر فيها والده مع والدته، تمنى «عابد» لو أن الموت غض الطرف عن أمه وأخذه مكانها، في هذه اللحظة علم «عابد» فضل

الأم ودورها في حياته؛ فهي العمود الفقري، إن وقع له شيء أصبح الجسم مشلولًا لا يقوى على الحراك.

لكن رغم كل شيء وجب على «عابد» أن يلملم ما بقي له من شذرات أمل في هذه الحياة، وأن هذه الأخيرة ما هي إلا قنطرة عبور، وليست قنطرة وصول. إذن، كيف لنا أن نعرف السعادة، وقد وُلدنا ونحن نصرخ ونبكي؟! ليت «عابدًا» بقي في رحم أمه، على أن يخرج لهذه الحياة المميتة، والآن علمت أن الرحم مشتق من كلمة «رحمة» التي توحي بالشيء الكثير والحب الغفير.

عند موتنا يبكي أقرب الناس علينا، وما بين الحياة والموت تختلط المعاناة والفرح، ليرسما لونًا ليس كالألوان، لونًا باهتًا في النهار ومضيئًا في الليل، ومن ثَم لا يمكن للنجوم أن تلمع دون ظلام، فمِن قساوة الدهر نولَد من جديد.. فما هي الحياة إذن؟!

الحياة كعصفور نزل كي يروي عطشه من النهر، فابتل جناحاه، فانتظر السماء حتى تبين شمسها وتنجلي غيومها ليحلق كما العادة، وهذا ما حدث لـ«عابد» تمامًا، كان يرى أنه رغم كل القساوة التي يتلقاها من أبيه داخل البيت، ومن المجتمع والعالم الخارجي اللذين لا يوفران بيئة حاضنة له، ورغم ذلك كان يتحمل كل المآسي في اللحظة التي تحتضنه

فيها أمه وتواسيه، إلا أنه اليوم أدرك فعلا أن الحياة لا تدوم، وأن ذلك الخيط الرفيع الذي كان يربطه في الواقع بمن ربَّته قد انفلت من يده، إلا أن آثاره لن تُمحى ولن تزول ما دامت الأرواح الخيرة تزور المكان من حين لآخر.

عندما كان يشعر بالوحدة ليلًا يأخذ ملابس أمه، حذاءها وجلبابها النسائي الجميل، ثم ينظر لنفسه في المرآة مقلدًا بذلك صوتها وطريقة حديثها:

– كيف حالك بني، ماذا بك؟

– (يشعر بالحزن) لا شيء أمي، فقط تشاجرت مع أحدهم.

– (ترد بغضب شديد) وعن أي سبب؟ قل...

– لقد شتمك أمي.

– (احتضنته ووضعت يديها على رأسه) لا تهتم، وفي المرة القادمة تعلّم كيف تتحكم في غضبك، ولن يعيدها ثانية، اتفقنا بني؟

– اتفقنا، هذا وعد مني.

وكأن تلك المرآة تمثل صلة وصل بين الماضي والحاضر، وبين السعادة والمرارة، كل شيء له ذوق، وذوق الموت يتعالى على الذوق، ويهمس في أذن الفاقد مرارة الشوق.

من هنا بدأ يستفيق «عابد»، ويحاول تشييد استقلاليته بذاته في مواجهة العالم الغاصب، والمجتمع الفاسد، الذي يرسخ فكرة الثبات والانزواء في ركن جامد دون حراك. الأزمة التي تختزل مجتمعنا ليست فقط أزمة اقتصادية أو اجتماعية، بل أزمة فكرية بامتياز، أمة لا تقرأ يعني أمة في الحضيض لا وجود لها؛ فالإنسان لم يخلق جسده وعقله، لكنه قادر على إثبات نفسه بقدراته وملكاته الهائلة التي يختزنها.

الوصول إلى مرحلة الإنجاز هو المبتغى والمقصد، والتفكير بلا تجارب يعني سكب الماء في الرمال!

التغيير الذاتي الخالص هو محاولة التصالح مع النفس، واكتشاف عالم آخر ليس كالعالم الذي كنا نحلم به في الخيال ونراهن بكل آمالنا عليه، لنستنتج في النهاية أنه لا يستحق؛ وبهذا تعود سلاسل من التفرد ومن الضعف والموت.

ولكن تأتي اللحظة التي ستنقلب فيها حياة «عابد» رأسًا على عقب، ويكتشف أنه لا يمتلك أصلًا ثابتًا، ولا أبًا حنونًا يراعي مشاعره إثر ما ألمَّ به في حياته التي لم يرَ فيها إلا التعاسة والألم، وشيئًا يسيرًا من السعادة والفرح!

كانت ليلة الأحد، تلك التي ستغير نظرة «عابد» لأقرب الناس إليه، وستأخذ جانبًا من الثقة لديه...

على الساعة الثانية ليلًا، أجرى «صابر» مكالمة هاتفية مع شخص مجهول، ظنًّا منه أن «عابدًا» قد غط في نوم عميق.. وكان «عابد» قد استفاق ليرتشف بعضًا من الماء، ليسمع قهقهات والده التي ارتفعت بعض الشيء، تتبعها كلمات عسلية توحي بإحداهن وليس بأحدهم!

كان «صابر» حينها كالمراهق الذي لا يعرف سوى الشهوة والغريزة، كان ينام على بطنه، واضعًا وسادة رطبة تحته، ويتمايل يمينًا ويسارًا وهو يقول:

– آه يا «سهام»، لقد أخذتِ قلبي وروحي، أنتِ كل شيء جميل لي!

– (تجيبه إجابة السكران) وأنت حبي الذي أنسيتني نفسي.

– (وهو يضحك) أنتظر تلك الليلة التي نجتمع فيها تحت سقف واحد.

– لن تنالها حتى تطرد ابنك الأحمق، وسأتزين لك كما تحب.

– لا أعرف ماذا سأفعل، إنه ابني رغم كل شيء!

– إذن اختر بيني وبينه!

– لا تحرجيني، كيف سأتخلى عن ابني هكذا؟

– (بنبرة حادة) ماذا قلت؟ سأقطع الخط!

– مهلًا مهلًا، سأحاول، المهم أن تكوني على راحتك.

– راحتي أن نكون وحدنا، اثنين فقط لا ثالث لنا!

– (وهو يقبل شاشة هاتفه الصغير مودِّعًا إياها) على الرحب والسعة.

– تصبح على خير حبيبي.

– تصبحين على خير نجمتي.

عندما انقطع الاتصال بينهما، وضع «صابر» يديه خلف رأسه؛ إذ إنه كان ممددًا على ظهره، ويفكر في حيلة لكي يُخرِج ابنه من البيت. بعد ربع ساعة استلقى «صابر» وأطفأ مصباح تفكيره، بعدها خلد إلى النوم.

في اللحظة التي سمع «عابد» هذا الكلام صُدم بقوة، علمًا أنه كان يحترم أباه كثيرًا، ويمد له يد العون دون ملل أو كسل. بعدها عاد «عابد» منهك التفكير إلى حجرته، وقد تجرع من الألم ما لم تتجرعه الصخور عند ضرب أمواج البحر لها، أتعرفون كيف كان حاله في ذلك الوقت، انفجار صامت، وعذاب لا يُوصف، لم يبقَ له من يواسيه أو يحتضنه، ثم تتوالى الأفكار غزيرة دون انتظام، ما الحل إذن؟!

«عابد» بين مَفرِقِ طرق.. هل يذهب من هنا أم من هناك؟ هذا هو السؤال الذي حيره في هذه المرحلة الحرجة، إما أنه سيبقى إلى أن يسمع كلمات مسيئة توحي له بالخروج من المنزل، وإما أن يذهب لحال سبيله ويخرج تاركًا أباه ينعم بحياة جديدة مع من يحب.

عزيزي القارئ.. ما الاختيار الأنسب في نظرك؟ فـ«عابد» الآن محتاج إلى نصيحة تريه الطريق الصواب الذي سيسلكه.

إلى من سيبوح الآن؟ إلى جدران مهترئة أم إلى الليل الحزين؟ إنها الثالثة إلا ربع، و«عابد» لم يتخذ القرار بعد، هل سيؤمن بالرحيل أم سيعدل عنه؟ وقلب «عابد» يتمزق من الداخل، الجرح الخارجي يتم تنظيفه بسرعة، إلا أن ما في الداخل صعب أن يعود إلى ما كان عليه آنفًا. عندما تثق في أقرب الناس إليك، وتكتشف أنهم لا يستحقون ثقتك، فقد تفقد شعورك في الحياة، وسيدفعك هذا إلى أن تهرب إلى مكان آخر، حيث الراحة والهناء، لأن المكان الذي أنت فيه ما عاد يناسبك.

جثمان «عابد» هو ما يظهر على الواجهة، أما روحه تموت يومًا بعد يوم!

تمنى أن يتم إعدامه على أن يعيش في عالم منافق يميل إلى ملذات الذات وما تطلبه، ويغفل عن الأشياء المهمة...

أيها المهمش، أيها المنبوذ، قل لي ماذا قررت الآن؟ ولا تكترث لأحد، أستبقى متوسدًا جمرة القهر والذل، أم سترحل وتترك الكل؟! سأمهلك خمس دقائق، بدأ العد التنازلي ولا سبيل لإيقافه...

أعلم أنك تعرف من أكون، أنا هو أنت لا أكثر، أنا نبض قلبك ومساعدك النفسي إذا احتجتني، أنا كائن بداخلك، غذائي هو روحك،

ونشاطي هو حوارك المنفرد معي، دائمًا ما كنت المؤنس الوحيد لك وكنت كاتمًا سرك، لم أخنك أبدًا، ولم أبح لأحد غيرك. أتذكر حين توفيت أمك، من اشتكيت إليه حالك؟ لا أنكر أنك اشتكيت إلى الله، وبكيت كثيرًا وأنت بين يديه، لكن حتى أنا لي نصيب من هذه الشكوى، فقد كنت تغرقني بتلك التساؤلات إلا أنني لم أشتكِ ولا مرة.

والآن ماذا تفعل في هذه الحجرة؟ ولماذا تجلس على ذلك الكرسي الخشبي المهترئ والبني اللون، الذي يكاد يسقط لحاله على أن يحمل وزنًا آخر؟ وها هي الآن قد بقيت لك دقيقة لتحسم الأمر، وتؤكد كلمتك المنبثقة من البحث عن الراحة، لقد بدأ العد التنازلي..

10

9

8

2

يقول «عابد» نعم حان الوقت للرحيل، ولا سبيل للتراجع، لأن حضن الأب اعتراه الشوك، فكلما يقترب منه «عابد» يشعر بوخزات شديدة الألم، سيضطر بسببها لحزم حقيبته الصغيرة التي كان يدرس بها أيام المرحلة الابتدائية.

لم تكن ولن تكون مغادرة البيت سهلة، إلا أنها الحل المتبقي في ظل كل هذه المؤشرات الدالة على الشر...

ارتدى الحقيبة الصغيرة على ظهره.. وهو يهم بالخروج من غرفته يصادف عنكبوتًا تسعى لنسج خيوط حياتها على السقف، وكأنها تقول: «إن ذهبت يا «عابد» ورحلت من بيت كنت تسكنه، فإني سأزين سقفه من أوله لآخره بخيوط حريرية بيضاء مشتبك بعضها ببعض، وسأواسي نفسي افتقادًا لك باصطياد الحشرات في شباكي كوليمة عزاء على روحك، ونظافة لغرفتك»، ثم بعدها خرج من المنزل خلسة وأحكم إغلاق الباب بهدوء.

الفصل الثالث: قلق مستمر

وهو في طريقه إلى المجهول، وبعد وقت من الزمن والمشي المتباطئ، يُرفع صوت أذان الصبح على تغاريد العصافير، التي تجعل الأذن مندهشة من جمال صوتها. الكون يشرح صدره الرحب لشمس ضعيفة لا تحرق، بل تداعب الجسم، إلى أين؟ هذا هو السؤال الذي لم يجد له «عابد» جوابًا.

أسئلة كثيرة كانت تجوب ذهنه، لكن دون أي جواب يُذكر.. الطريق ما زالت طويلة، والشمس يشتد لهيبها، ويكاد «عابد» يُغمى عليه، إلا أنه يتمالك نفسه من حين إلى آخر. إنه يتصبب عرقًا بشكل متكرر، لم أرغب في أن أخبركم بحجم الأسى والشجن اللذين كان يتخبط فيهما، ولكن دعوني أخلِّص «عابدًا» من بعض التعب الذي أرهقه، ولربما هذه النخلة التي أمامه قد يجد بها ظلًّا يحجبه من أشعة الشمس الحارقة!

ثم اتكأ عليها، وقال في قرارة نفسه: «حتى النخلة لها روح، أظلتني واحتوتني، وجعلت لي موضعًا أرقد إليه، هي فقط نبات، لا يسمع ولا

يبصر، لكنه يحس، ليس كالذي تكبر واحتقر أخاه الإنسان ونسي مبادئ الإحسان، أو الذي لم ينظر لصبر النخيل وجَلَدِه، ولم يجعل الاستثمار فيها من الأولويات. تسمياتنا للأشياء هي ما قلب الموازين من قبيل بلد غير نافع كما يقولون، نعم بالطبع بلد غير نافع، لأن أهله لم يقدموا له شيئًا، بل على العكس، ظلوا يأخذون منه، بلد غير نافع، لأن من يقطنون فيه صامتون على حقوقهم، ويظنون أن البوح مرادف الانتحار، بلد غير نافع، لأن كلًّا منا لا يحب الخير للآخر، بلد غير نافع، لأني لم أجد مستشفى تلد فيه أمي وأختي وجارتي، التي ماتت في ذلك المستوصف اللعين، لأن الطبيب أحب أن يذهب في نزهة. لا أعلم ما ذنب هذا البلد! ألسنا نحن من وجب أن ندق ناقوس الخطر الذي يهضمنا ونحن لا نهتم؟ ماذا عساي أن أقول؟ وحتى إن قلت ما أريد أن أقول، فربما قولي لن يحرر أصفاد العقول.. ميتون ولا يعلمون موتهم، يضعفون ولا يدركون أنهم يشربون من دمهم!!»...

بعدها قام من مكانه وأكمل المسير، وأخيرًا بدأت تظهر له معالم بلدة ما، إنها جميلة للغاية بأسوارها التي تحضنها بحب لا مثيل له، وبدأ يغوص من داخلها، ويتمعن بنيانها المشيد بالطين، تفوح منها رائحة الأرض، ممزوجة بالعادات والتقاليد والأصول والطبيعة الإنسانية، وكل ما هو غير مصطنع.

أطفال صغار، فتيات وفتيان، الفتيان وشوق كرة القدم المهترئة، والفتيات يلعبن الغميضة. المهم رغم الفقر البادي على ملامحهم، إلا أن الضحكات لا تفارق محياهم، وبينما يلعبون دون مبالاة، أبصر «عابد» شخصًا طاعنًا في السن يعتمد على عكاز، وقد كان يقصد المسجد الصغير للصلاة، وإذا بالكرة ترتطم بعكازه فيسقط أرضًا دون حراك، وفي لحظة غضبه تلفظ بكلمات تخدش الحياء!!

كل الأطفال اختفوا فجأة، ما عدا اثنين منهم؛ قال الأول: «اذهب خذ الكرة بسرعة!»، رد الثاني بنبرة يغلب عليها الخوف: «إن أخذتها الآن فسيراني العجوز الخرف، وسيخبر أبي بذلك، ولن أستطيع النوم هذه الليلة، لأن عظامي ستنخلع من مكانها»، ثم أخذا يركضان بسرعة.

همّ «عابد» بمساعدة الشيخ في النهوض، فسأله: «من أنت يا ولدي؟» أجاب: «لست من هنا، اسمي «عابد» وأنا عابر سبيل و...»، ثم قاطعه قائلًا: «هيا نصلِّ، وبعدها ستأتي معي للغداء –إن شاء الله–».

شكره على الدعوة وقال له أنه سيتوضأ ويلحق به لأداء الفريضة، كان صوت المؤذن حنونًا جدًّا، فقد اقشعر جسم «عابد» للحظات؛ إذ أحس أن شخصًا في داخله قد استفاق للتو، ويريد أن يرشده للطريق المستقيم. فهل سيتبع المنادي أم سيعود أدراجه؟ كان يقول: «حي على

الصلاة... حي على الفلاح»، كلمات لو تأملناها لاهتز لها الكيان، كيان الإنسان.

بعدها اتجه إلى المكان المخصص للوضوء، توضأ فأصبح وجهه يشع نورًا، فدخل بيت الله، صلى ركعتين وانتظر قليلًا، فإذا بالإمام يدخل، لكن المؤذن تقدم لكي يصلي بالناس، وذلك لأن صوت الإمام حينها كان مبحوحًا.

«عابد» كما تعلمون في ضيافة الشيخ، تقدم هذا الأخير بخطوات مرتعدة، لأن قدميه لم تعودا قادرتين على حمله، وصل إلى بيت الشيخ.. رحبت به زوجته «مكتوم» ذات خصلات الشعر البيضاء، والوجه النحيف، والبشاشة المرتبكة.. مسكينة «مكتوم»، رغم كبرها ظلت تخدمه! قدمت له الماء البارد أولًا؛ فقد كان يشعر بالعطش، فارتوى وشعر بارتياح شديد، كأنه يعرف سابقًا ملامح الشيخ وزوجته، وبعد بضع دقائق، وبعد دردشة قصيرة لم تأخذ الكثير من الوقت، إذ بـ«مكتوم» ترحب به، وتضع فوق المائدة الخشبية المستديرة وجبة الغداء.. أكلوا جميعًا، والسعادة تتجلى على محياهما كي لا يُشعراه بالخجل.. كان غداءً شهيًّا من إنسانة على الرغم من كِبر سنها، فإن لها روحًا مرحةً، ومهارة في إتقان فن الطبخ.

المهم من كل هذا، عبّر لهما عن شكره، وعن حسن الضيافة التي تلقاها، وعن كل شيء قدماه له، ثم همّ بالوقوف لتوديعهما، لكن الشيخ لم يقبل البتة، وألحّ عليه بأن يمكث عندهما الوقت الذي يحب، وأن يعتبر البيت المتواضع بمثابة منزله تمامًا، غير أن «عابدًا» رد بشيء من التردد: «شكرًا لكما كثيرًا، لكن لا أريد أن أكون ضيفًا ثقيلًا عليكما»، أجابه مباشرة: «نحن نحسبك من الآن وصاعدًا ابنًا لنا»، لم يجد «عابد» ما يقوله في هذه اللحظة بالذات ما عدا تقبيل يد الشيخ الطيب.

في اليوم التالي قام «عابد» من فراشه فزعًا بسبب كابوس مرعب، وكان المؤذن ينادي لصلاة الفجر. بقي مستلقيًا على السرير قليلًا وهو يخمن في شيء ما، فقط كان ذهنه شاردًا إلى أن سمع أنينًا وشهقات أحدهم. نظر من فجوة باب غرفته، فإذا به يشاهد الشيخ وهو ساجد لله، ويبكي بحرقة دون أن يرفع صوته كثيرًا، ثم تشهد وسلم، ورفع كفيه إلى السماء متضرعًا وشاكيًا لله حاله. كان يقول: «اللهم عليك بالظالم»، فأتت زوجته فبدأت تخفف عنه بكلمات مليئة بالإيمان.

من جهة أخرى يبدو حزن الأم عميقًا للغاية، إلا أنها فقط تكتمه، ولا تريد أن تزيد الطين بلة وتكسر قلب زوجها الذي يُحَمّل نفسه المسؤولية كاملة. أن ترى شيخًا يبكي شيء مزلزل للذات ومرهق للإحساس

والشعور، فبكاء الكبار ليس بالأمر الهين، إنما يدل على اشتداد الأزمات، وأن الوضع لا يحتمل الصبر.

القصة وما فيها أن رئيس جماعة صاحب فندق شهير كان متجبرًا إلى أبعد الحدود، فقد كان يرسل حراسه على رأس كل سنة لإتيانه بكل فتاة تبلغ عمر الثامنة عشرة، وقد كان ضابط من الشرطة متورطًا في هذه العملية كذلك. والغريب في الأمر أن بيع الفتيات أصبح عادة يحتفل بها عند بعض العائلات، أمهات تبيع بناتها بأبخس الأثمان قصد العيش بكرامة كما يدعين، والإشكال أنك تجد أمًّا باعت ابنتها وهي فخورة بذلك، حتى إن بعض النساء تدّعي أشياء غريبة، أنهن مثلًا يأخذن البركة كما يقلن. هنا تظهر تمامًا معالم الجهل واضحة كوضوح الشمس وسط النهار، الجهل يفقدنا قيمتنا، وكذا يجعل كرامتنا تتلاشى شيئًا فشيئًا.

وبعد بضع ساعات تقريبًا، حل صباح جميل للغاية، وإشراقة شمس كأن العالم كله اختفى لوهلة، وأتت هذه الشمس لتنيره وتحيي الأرواح من جديد.

قام «عابد» من سريره متجهًا للحمام، أخذ حمامًا، وشعر كأن روحه استفاقت مرة أخرى، ثم قال: «صباح الخير أمي، صباح الخير أبي»، ردًّا عليه: «صباح النور، اجلس لنأكل وجبة الفطور معًا»، كانت وجبة

لذيذة مكونة من الزيت والزيتون وبعض التمر والخبز التقليدي، ثم الشاي بطبيعة الحال. أكملوا فطورهم وساعد «عابد» أمه في غسل الأواني، رغم أنها رفضت ذلك، فإنه أصر على مساعدتها.

بعدها معلوم أن الشيخ لا يمكن أن يعيش من دون عمل بعد أن أصبح متقاعدًا، وما يأخذه كل شهر لا يكفي أبدًا؛ فهو فلاح صغير، له بعض المواشي، وله بقرة ورضيعها. ولأن الكلأ نادر الوجود، يضطر أن يرعى بعيدًا عن البلدة، همّ «عابد» بالخروج معه للرعي، رغم أن جسد الشيخ ما عاد يقوى على العمل والمشي لأماكن بعيدة، فإن المجتمع لا يرحم، وجلْب قوت اليوم يتطلب صبرًا كبيرًا.

في أثناء مضيهما في الطريق، بحثًا عن الكلأ، الذي يمثل النعيم بالنسبة للشيخ، بين تلال الجبال التي أوشكا على الوصول إليها، إذا بكلاب جائعة تصطاد الطيور هناك، وكانت ترتدي زيًّا عسكريًّا أخضر، وكانوا يقهقهون بصوت عالٍ كأنهم مدعوون لحفلة شواء، كانوا يحملون بندقيات حديثة. بعدها أردف الشيخ قائلًا: «لنغير الاتجاه، فصوت الرصاص سيفزع البهائم»، أجاب: «نعم أنت على حق».

وإذا بنا نحط الرحال على شمالهم، وكان النهر ذو الصبيب الهادئ والخفيف يفصل بيننا وبينهم. الخراف والنعاج والبقرة ورضيعها يأكلون

بتواضع، يأكلون رزقًا أحله لهم الله –سبحانه–، يأكلون عشبًا أخضرَ نقيًّا، ثم أحيانًا عندما تتعالى أصوات الرصاص، تعلو رؤوسهم وترصد ما يجري، كأنهم يتساءلون دون أن ينطقوا بكلمة واحدة، كيف لبني آدم أن يقتلوا ويصطادوا بهذه الوحشية، ولم يحن موعد الاصطياد بعد؟

وبما أن غيظ الشيخ بلغ حده، وذلك لأن رئيس الجماعة وأعوانه حرموه من رؤية ابنته «ياسمين»، فلذة كبده التي يحبها أكثر من نفسه، إذ بزلة لسان توقظ الجرح الدفين حين قال: «لا أحد يسلم من شرهم حتى الطيور.. اللعنة والويل عليهم، قد خطفوا ابنتي الوحيدة»، رد «عابد» وملامح وجهه تبدي تعجبه: «هل لك ابنة يا أبي؟» أجابه بارتباك: «لا، لا يا بني، أنا فقط متعب بعض الشيء».

– أجبني يا أبي.. أهناك سر تخفيه عني؟ أم أنك لا تثق بي؟

– ليس هكذا، لكن بما أنك أصررت أن تعرف الحقيقة، فسأروي لك ما حدث...

«كانت صبيحة الأحد، لم أكن أنا في البلدة، حينها نظرت إلى السماء، وغمامة سوداء بها حمرة تقترب شيئًا فشيئًا...»

حكى الشيخ القصة كاملة لابنه، والحسرة تبدو عليه جلية، حتى إن مقلتيه جفتا من الدموع، وأصبح وجهه شاحبًا كصحراء جرداء لا يوجد بها ماء. بعد كل ما قاله الشيخ لم يجد «عابد» ما يقول فقد باغتته العواطف، وإذا بدموع دافئة تتساقط، حتى الدموع خشعت لما كان يُقال، وتأثرت لحال الإنسان وما يفعله بأخيه الإنسان، ثم لم يلبث الشيخ حتى ضم «عابدًا» إلى صدره، وأخذ يربت عليه كما تربت الأم على رضيعها، وهو يبكي حتى بدأ يسكن ويهدأ، فقال له: «لا تبكِ، فقد وقع ما وقع، وثقتنا بالله كبيرة جدًّا».. بعدها عاد الشيخ و«عابد» إلى المنزل، والحسرة تعصر قلبيهما.

الفصل الرابع: صاحبة الخاتم

أفكار مزعجة تزور غرفة «عابد» من دون استئذان ثم تتلاشى، بعدها تعود لتخنق روحه وفكره، قام من سريره فأنار الغرفة، ثم اتجه إلى الحمام وغسل وجهه بماء بارد، وكان ينظر إلى نفسه في المرآة ويحدق كثيرًا.

كانت قطرات الماء تتموج من وجهه بحذر شديد، وعلى جبهته الداكنة خريطة ليس بها تضاريس ولا إرشادات، باستثناء منحنيات تائهة بين الحاجبين، وبدأ يتساءل مع نفسه بصوت خافت: «من أنا؟».

الوقت الذي طرح فيه «عابد» هذا التساؤل على نفسه، يظهر أنه بدأ يعي ذاته، ويحاول أن يفهمها بالطريقة الأمثل، وقد علم أنه مهمل لذاته، لذلك قرر ألا ينشطر مرة أخرى عن الكيان الذي يحتويه، ثم أطفأ مصباح الحمام، وعاد للنوم بسرعة، فمرت تلك الليلة –بفضل الله– بلا كوابيس ولا أحلام مزعجة.

وفي الصباح التالي، استفاق «عابد» باكرًا فتوضأ وصلى كما علمه الشيخ، ثم سجد لله فأطال السجود، وكان يلح في الدعاء بأن يرزقه الله الشجاعة لإنقاذ «ياسمين» ويعيد الفرحة لوالديها. بعدها أخذ قلمًا وورقة وشرع يكتب بعض الكلمات ببطء شديد، لأنه لم يعد يذكر كثيرًا ما تعلمه في المدرسة آنذاك، الشيء الجيد أنه استطاع أن يخط حروفًا؛ حروفًا صعبة الفهم، وتحتاج إلى تمعنٍ لإدراكها ومعرفة المقصود منها. حين انتهى من الكتابة، وضع الورقة الصغيرة التي كان آخرها ممزقًا فوق وسادة سريره، ثم هم بالخروج مسرعًا.

هذه المرة بالذات قرر أن يغامر ويخاطر بنفسه، لعله يستطيع إنقاذ ابنة الشيخ، فجمع بعض المعلومات عنها؛ اسمها وقليلًا عن شكلها.

تغيير العالم البائس لن يتأتى إلا بالبدء بالذات نفسها، فمحاولة تغيير نفسك هي تلميح صريح للآخر بأخذ غمار هذا التغيير وتجربته. فالإنسان العادل مع نفسه هو الذي يسعى إلى أن يكون هو التغيير الذي يريد أن يراه في هذا الواقع. ومن أهم الحواجز التي تعوق سلسلة التغيير هي تلك التمثلات والمغالطات التي يتبناها الطفل منذ الصغر، ويؤمن بها، وهي التي تمنعه من التعبير حتى عن رأيه أمام أسرته أو عائلته. فكيف به إذن أن يخرج من تلك العبودية الفكرية؟ والتي تسعى

من دون وعي إلى تجميد فكره وتقزيمه، وبهذا يتشبع الإنسان منذ ولادته ببعض الأفكار التي لا يلقي لها الآباء بالًا، إلا أنها هي ما سيؤثر سلبًا على حياة الطفل مستقبلًا، وسيجعله يخضع لمنطق اللا فهم، الذي سيسعى بدوره إلى تمزيق ما بقي له من أمل في هذه الحياة، التي ستنهش كل ما فيه وستقتله، لتعيده لها مرارًا وتكرارًا، ليرى ذلك الوجه الخفي وراء ذكرياته الأليمة والمنسية.

والشيء الذي لا نلقي له بالًا هو أن الأزمة التي تختزل العالم العربي بأكمله هي أزمة فكر ووعي بامتياز، فنحن بذلك مجتمع يُرضي بطنه قبل أن يُرضي فكره، إنه والله جوع ينهشنا في فكرنا، وليس في جهازنا الهضمي. لو فهمنا كل هذا، لأصبحنا ننشد العلا والمستقبل الهنيء، أما إن خفنا من التطور، فسنغوص في دوامة التمني المستحيل، والظلام المعهود، الذي شل أطرافنا عن المضيّ قدمًا.

خرج «عابد» مهمومًا من منزل الشيخ، راجيًا من الله أن يعثر على «ياسمين» في تلك المدينة. لم تكن تبعد هذه الأخيرة كثيرًا عن البلدة، نحو خمسين كيلومترًا، اتجه صوب محطة الحافلات. وبعد انتظار دام ساعة واحدة، استقل الحافلة، وكلٌّ أخذ مكانه، لم يشعر «عابد» بالوقت، فوصل باكرًا إليها. لم يكن سهلًا على «عابد» أن يجد بيتًا يكتريه لأنه لم

يألف جو المدينة. بعد بحث طويل جدًّا أرهقه وأشعره بالملل الشديد، وجد غرفة صغيرة في السطح فاكتراها، كانت الغرفة مدعاة للقرف، وكانت موحشة للغاية، وقد قام «عابد» بتنظيفها وحده. كانت أول ليلة يقضيها في مكان جديد، وكان مهووسًا بما سيحصل لـ«ياسمين» إن لم يقم بأية ردة فعل سريعة.

وبما أن تلك الغرفة لم تستأجر مسبقًا، فإنها لا تتوفر على إنارة أبدًا، لذلك اشترى شمعتين، فأخذ يتأمل فيهما كثيرًا حتى انطفأتا وحديهما.

بقي «عابد» على ذلك الحال، وقد مر على مجيئه لهذه المدينة أسبوعان، أيام وليال مرت، ولا يزال «عابد» في بحثه عن ذلك الفندق، إلى أن أرشده أحدهم إليه. كان قريبًا من المكان الذي اكتراه، حتى إنه بإمكانه أن يطل عليه من السطح...

حينها كان يراقب ما يجري في ذلك الفندق عن كثب، لكنه لم يجد أي وسيلة للدخول بشكل آمن دون افتعال مشكلات.

كانت ليلة يغلب عليها الصمت والسكينة، ليلة ليست كباقي الليالي، استفاق «عابد» باكرًا، كانت الساعة تشير إلى الرابعة تمامًا، فإذا به يرى من السطح شاحنة تهم بالدخول إلى الفندق، وكانت الإنارة أمامه ضئيلة

جدًّا. هنا بدأ يتساءل ويفكر في حيلة للدخول، كان يفكر في كل السيناريوهات التي ربما قد تقع.

بعد مرور أيام أخرى من الانتظار الممل، أسبوع كامل تقريبًا، كان نفس اليوم، ونفس التوقيت تمامًا الذي دخلت فيه تلك الشاحنة للفندق اللعين، وتعلمون أن «عابدًا» كان ينتظر هذا اليوم بشدة متناهية. كان مختبئًا جيدًا كي لا ترصده أضواء الشاحنة، وصلت هذه الأخيرة، وانتظر السائق نحو دقيقة قبل أن يفتح له الحارس الباب الخلفي للفندق.. هذه هي الفرصة الوحيدة التي بقيت لـ«عابد» ويجب عليه ألا يضيعها، أسرع بحذر فارتمى تحت الشاحنة، وتشبث بشيء هناك. هذه الأخيرة دخلت إلى مستودع للتخزين، والحمد لله أنه لا أحد لاحظ شيئًا.

كاد نبض قلبه يتوقف من شدة الخوف، بقي السائق خارج المستودع وحضر اثنان من العمال لتفريغ البضاعة. وجد «عابد» مكانًا يختبئ فيه، كانت خزانة صغيرة، لكنها كافية لإخفائه، بعدها تم إغلاق باب المستودع، وفي تلك اللحظات خرج «عابد» من الخزانة، كان يعم الظلام، لكن لحسن الحظ فقد جلب معه هاتفه ذا الشاشة الصغيرة والأزرار المتقاربة.

هاتف من العهد القديم، لكنه بسيط وسهل الاستخدام، قام بتشغيل مصباح الهاتف لأنه يريد أن يستكشف ما في المستودع، ظل على ذلك الحال، لكنه استسلم ولم يعد يعير أي اهتمام للمكان الذي حوله. عليه إذن أن ينتظر الوقت الذي يفتحون فيه باب المستودع، أما الآن فسيبقى اليوم كله سجينًا، وعندما يمل من الانتظار يتذكر ملامح الشيخ، كان باديًا عليها التعب والحزن، كانت مشاعر «عابد» حينها مختنقة بشكل كبير، وكانت أطرافه ترتجف، واضعًا يده على ذقنه، وسارحًا بخياله بعيدًا...

لحظة الصمت تلك لم تستمر كثيرًا بعد محاولة شخصين فتح الباب، وما توجد وسيلة أخرى غير الاختباء مجددًا وإطفاء هاتفه اللعين الذي قد يفضح مكانه. كانا رجلين اثنين، الأول يرتدي معطفًا أسودَ، ويقوم بإشعال سيجارة.. والثاني قصير ويتلعثم قليلًا في الحديث.

كانا يتحدثان عن فتاة ما، أُعجب بها حامل السيجارة، إلا أن الخوف حال بينه وبينها، لأنه فقط يظل عاملًا لا أكثر، ومن الصعب للغاية أن يخاطر بعمله من أجل فتاة لا يعرفها أصلًا.. هل تبادله نفس المشاعر أم لا؟

باغته القصير بكلمات جرحت قلبه وجعلته يبدو يائسًا، قال القصير لحامل السيجارة أن تلك الفتاة بالتحديد كانت على علاقة بشخص أجنبي يزور الفندق كثيرًا، لكنه في الآونة الأخيرة ما عاد يأتي، وبينما كانا شاردين في الحديث، استغل «عابد» الفرصة وخرج بسرعة. كانت حينها الساعة تشير إلى السابعة مساءً، والفندق حينها ممتلئ بالكثير من الزوار؛ زوار من جميع الأجناس، منهم من يفضل الرقص قريبًا من المسبح، والباقون يحبون أن يرقصوا بدفء في الداخل.

كانت أصوات الموسيقى تتناغم مع خطواتهم، مع أحذيتهم، ومع بريق أعينهم التي تلمع تحت الأضواء. اقترب قليلًا ليكتشف ما بالداخل، كانت أجواء تشبه ما يحدث بالخارج، لكن تبدو أكثر رقيًّا وأكثر فحشًا.

بالداخل أشباه الرجال، وفتيات يرقصن بشكل مثير وبشع للغاية؛ إنهن اللواتي لا يرتدين سوى لحمهن؛ منهن من تغني لحظة توقف الموسيقى، ومنهن من تغار من رفيقاتها ظنًّا منها أن جمال الجسد هو كل شيء!

كانت عينا «عابد» تتسللان إلى الداخل عبر تلك النافذة، لكنَّ أذنيه تفاجأتا بأحدهم يقول له: «هل أنت نادل جديد هنا؟»، رد «عابد» بنبرة ينتابها الارتباك شيئًا ما: «نعم أنا كذلك»، يرد عليه: «إذن تعال

معي»، ذهب مع النادل إلى المطبخ. كان من أفخم الأماكن التي يراها، كل شيء كان مرتبًا بعناية فائقة، وكانت الأطباق نظيفة للغاية، وروائح الطعام أبت إلا أن تستهدف الأنوف لتخضعها للتذوق.

قدم له زملاؤه الوزرة فارتداها، وعلموه قليلًا عن كيفية المشي بظهر مستقيم، وطريقة التعامل مع الزوار. كانت العشر دقائق كافية ليستوعب ما تعلمه. كانت ليلة السبت بضوضائها وبصخبها، لكنها عظيمة بأجوائها، تم توزيع المهام، فريق مكلف بمهمة من هم بالداخل، والفريق الثاني يخدم من هم بالخارج.

كان «عابد» مع الفريق الأول، هذا الأخير كان منظمًا، وفيه حس الرقي والانضباط. تقدموا واحدًا تلو الآخر، وقاموا بتوزيع المشروبات الغازية والكحولية. كانت أول مرة يوزع فيها «عابد» الخمر على أحد، وقد تمالك نفسه في اللحظات الأخيرة بعد أن ارتجفت يده بشدة.

الكل كان مبتسمًا في تلك الحفلة الراقصة، فقد كانت تحضر معهم شخصيات مهمة في البلاد، ولعل أبرزها ضابط الشرطة، صديق مقرب لصاحب الفندق، الذي كان يرقص مثل الدببة تمامًا! كانت هذه الشخصيات الحاضرة تبدي في مظهرها نوعًا من الترف، وعلى ثيابها عطر جميل يخفي بعضًا من القرف الذي يحب البعض مناداته بالبرجوازية،

وكانت هناك لوحات معلقة على الجدران توثق فتيات في وضعيات مخلة بالحياء.

أما على باب الصالون، فيقف الحراس كأنهم لا يملكون غريزة، أو كأنهم ليسوا من بني آدم، كالحجر لا يتزعزعون. لفت انتباه «عابد» فتاة حسناء كانت تنشد أناشيد، لها شعر أسود حريري طويل، وعينان زرقاوان وتلمعان بشدة، ابتسامتها تنسي المهموم همه والمريض سقمه، لها حاجبان كثيفان، ولها صوت عذب ورقيق ومفعم بالود والحب، وكانت بشرتها سمراء، وشفتاها تمتزجان بلون العسل. حول عنقها سلسلة أظنها من الذهب النفيس، وترتدي فستانًا ورديًّا جعل عيني «عابد» تتسعان.

هذه الفتاة هي الوحيدة التي لم تتذوق المشروبات الكحولية، لذلك أخذ «عابد» كأسًا من الماء وناولها إياه. كانت لها ابتسامة تأسر كل من ينظر إليها، وتجعله مقيدًا ومكبلًا بها. وبعد أن ناولها الكأس، وقبل أن يتراجع إلى الخلف، لاحظ على أحد أصابع يدها اليسرى خاتمًا عاديًّا وقديمًا يشبه خاتم الشيخ تمامًا، كان يلمع رغم قدمه! كان خاتمًا نادرًا، ويعني الكثير بالنسبة لهذه الفتاة؛ لأنها كانت تحدق فيه مطولًا. والشيء الذي جعل «عابدًا» يقطع الشك باليقين، هو أن ما كُتب بالفرنسية على

الخاتم، هو نفسه بالضبط ما كان مكتوبًا على خاتم الشيخ. ذلك الخاتم الذي كانت جوانبه تحمل كلمة "Sud –Est" والمكتوبة بطريقة مائلة.

بدا «عابد» مترددًا شيئًا ما، ولم يجرؤ أن يتحدث إليها. بعدها بقليل انتهت الحفلة، لأن الوقت صار متأخرًا، لذلك عاد أغلب العمال في الفندق للنوم في غرفهم.

تلك الليلة بالذات كان قلبه يقطر دمًا، وفكره ما عاد يريد أن يتوقف، بداخله بعض من التردد وشيء يسير من الجرأة. في كثير من الأحيان قد نندم لأننا لم نتحدث، وقد نندم كذلك لأننا ما أفصحنا عما في دواخلنا!

الأيام تمضي بسرعة، ودقات قلب «عابد» تتزايد على نفس الإيقاع، إنه خائف من جهتين: خائف أولًا ألا يستطيع إنقاذ «ياسمين»، وخائف كذلك ألا تقاسمه نفس الحب الذي يتولد فيه هذه اللحظات.

كم هو قاس ذلك الحب الذي لم تظهر تجلياته على من نحب!! صبرًا على روحك يا «عابد»، فالأمور لا تسير هكذا، واعلم أنك إن أقبلت عليها بنية صافية، فإنها لن تردك خائبًا، وربما هي بذاتها تقاسمك نفس المشاعر ونفس الحب، لكنها أكثر ترددًا منك.. فما بقي لك الآن إلا

أن تكون قائدًا لنفسك، وأن تحكِّم عقلك أولًا، ثم انظر.. هل فيك شيء ولو بسيط يشجعك على المحاولة؟ فإن كان كذلك، فما عليك سوى أن تثق في اختياراتك مهما كانت النتيجة.

تمر الأيام وحال «عابد» يزداد سوءًا، إلى أن جاء اللقاء المنتظر، كانت «ياسمين» تجلس وحيدة أمام المسبح، وتحدق مطولا في الماء من غير أن ترفع رأسها. تأكد «عابد» أنه لا أحد هناك، فاقترب منها كثيرًا، ثم جلس إلى جانبها، وبادرها بالحديث، حكى لها القصة كاملة، ووثقت بكلامه.

من تلك اللحظة بدآ يفكران في طريقة للهرب... دعنا الآن نعطي وقتا لـ«عابد» و«ياسمين» للتفكير في تلك الخطة ورسْم أحداثها، وهيَّا بنا نتعرف أكثر على جزء بسيط من حياة صاحب الفندق، وبالتحديد على ابنته «عواطف»، التي تدرس بالسلك الثانوي تأهيلي.

كانت فتاة مرحة ومحبة للحياة، لها صديقات كثيرات، شكلها يدل على أنها تنتمي لعائلة ثرية، لكنها لم تكن تشبه والدها أبدًا، فهي مثقفة وعاشقة للمطالعة بشكل كبير. اللغة الإنجليزية هي مادتها المفضلة، فقد شاركت مع زميلاتها في تمثيل مسرحية تحت عنوان " Don’t trust anyone"، وقد كانت ماهرة في تمثيل دورها على أحسن وجه. كانت

تلميذة محبوبة من طرف أساتذتها الذين يشيدون بتفوقها وبذكائها وحبها للمعرفة.

كانت ملامح وجهها بريئة بعض الشيء، وعلى خديها نار دافئة لا تحرق أبدًا. عندما تبتسم من بعيد تظنها عاشقة، وعند اقترابك منها تتأكد حينها أنك كنت غبيًّا لا أكثر، لأنها ليست بعاشقة، وإنما ساحرة من نوع مختلف؛ سحرها لا يُؤلم، بل يقتلك وأنت في قمة السعادة!

جميل جدًّا أن يمزج الإنسان بين أمرين، الجمال والثقافة، بمعنى آخر تُكبَّل بالجمال وتتحرر بالثقافة. شيء واحد قد يفقدها أنوثتها تلك، وهو أنها تتحدث مع الكل بعفوية مطلقة، وببراءة طفولية لا مثيل لها. ثقتها في الناس عمياء، ربما لأنها لم تخض أي تجربة في حياتها تجعلها أكثر حذرًا.

كما كل الآباء، كان والدها يحبها ويهتم بها كثيرًا ولا يرد لها طلبًا؛ لأنها كانت ابنته الوحيدة، وليس له سواها، وقد كان حريصًا على تحصيلها الدراسي، وكان يثني عليها دائمًا، راجيًا أن تحصل على شهادة البكالوريا بميزة جيدة، فقد كان ينوي أن يسجلها في أفضل المعاهد خارج البلاد، وبالضبط في دولة «كندا»، لكي تنهي مسارها الدراسي هناك، وليست وحدها من ستذهب، بل سيرافقها والدها رغبة في الاستقرار هناك.

كانت «عواطف» كذلك تحلم كثيرًا بمستقبل زاهر بعد المرحلة الثانوية، ودائمًا ما تجدها تبحث في حاسوبها المحمول عن الأماكن السياحية، وعن المعاهد العليا، وعن كل شيء يخص دولة «كندا».. فقد تعرفت على ثقافتها وعلى أشهر المدن التي توجد بها، حتى كادت أن تكون مواطنة كندية، وذلك لمعرفتها الكبيرة بأدق تفاصيل هذا البلد.

جميل جدًّا أن يكون فينا شيء من الاكتشاف، وفضول للمعرفة، والأجمل أن نكون قادرين على تقليص تلك المسافات الطويلة، وجعلها أكثر قربًا وأكثر شعورًا بالانتماء. أحيانا أحلامنا الوردية التي ننسجها من خيالنا هي ما يوقع بنا في شباك الواقع المر، ولعل قلة التجربة قد تكون أهم أسبابها.

أجواء هادئة ومميزة هيمنت على يوم الاثنين بعودة التلاميذ لحجرات الدراسة؛ إنه يوم استثنائي بالنسبة لـ«عواطف» بعد عطلة منتصف السنة. كانت مندفعة بشدة لاكتشاف المؤسسة من الداخل وللتجول فيها. كانت تشعر بحرية لا مثيل لها، غير أن زملاءها وزميلاتها لا يشاركونها أبدًا نفس الرأي، فقد كانت الكآبة تملؤهم وتشنقهم شنقًا. أما «عواطف» فتحمل في قلبها إحساسًا فريدًا جعلها تسرع الخطوات وتجلس في مقعدها الأمامي كالمعتاد.

مـرت الأربـع سـاعات الصـباحية بسـرعة غـير عاديـة، وهـمّ الجميـع بالانصـراف. أغلـب زمـيلات «عواطـف» يـركبن في حـافلات النقـل المدرسي، وذلك لبُعد المسافة التي تفصل بين مكان سكناهن والثانوية، أما هي فتمشي على الأقدام، لأن منزلها لا يبعد كثيرًا، كانت تمشي بخطوات متثاقلة على الرصيف، مرتدية وشاحًا أحمرَ، ومعطفًا ذا أزرار رمادية. وبعد أن اقتربت من الوصول، وفي اللحظة التي وضعت قدمها اليمنى لتعبر الطريق عبر ممر الراجلِين، إذ بكتاب لها قد تسلل من محفظتها الصغيرة فسقط أرضًا. لم تنتبه لسقوطه، إذ إنها كانت تسرع الخطوات متجهة صوب منزلها الذي يبدو جليًّا أمامها، في حين أخذ أحد الشباب ذلك الكتاب، وهو رواية مشهورة تحمل عنوان: «صاحب الظل الطويل»، للكاتبة/ «جين ويبستر»، وقد أصر الشاب على إعادة الكتاب لصاحبته اليوم التالي، وهو تلميذ كذلك في نفس الثانوية التي تدرس فيها «عواطف»، وقد كان معروفًا بشغبه وأخلاقه السيئة مع الجميع، لأن عمره يفوق نوعًا ما باقي زملائه، لهذا السبب بالذات كانت علاماته متدنية بشكل كبير جدًّا.

في اليوم التالي، كان الشاب ينتظرها في نفس المكان الذي سقط فيه ذلك الكتاب، ولم يبرح حتى رآها قادمة والنور يتوهج على ملامح وجهها، وقد كان فكره منصبًّا على جمالها وعلى فستانها المميز، فمرت من أمامه دون أن يقدم لها الكتاب، ثم استدرك الموقف، فبادرها بالحديث وحكى لها ما حدث في ذلك اليوم، وأعاد لها الكتاب، وقد كانت «عواطف» ممتنة له أشد الامتنان، وشكرته بحرارة على سلوكه الجميل الذي قام به تجاهها، وقبل أن يفترقا، طلب الشاب بلطف شديد من التلميذة أن تعطيه رقمها، مدعيًا احتياجه إلى المساعدة في بعض المواد التي يجهلها! وبما أنكم تعرفون شخصية «عواطف» البريئة، فقد قبلت دون تردد.

مر شهر كامل وتطور شكل المحادثات بين الشاب و«عواطف»، من الدراسة إلى مواضيع يغلب عليها الحب والرومانسية أكثر من اللازم. أي فراغ هذا يشهده قلب «عواطف»؟ وأي سذاجة هذه التي تجعل تلميذة مثقفة تدخل في عالم مخادع؟

كنت أقولها وما زلت: «ليست المطالعة وحدها كافية لجعل الإنسان أكثر مناعة وأكثر صلابة، وإنما بامتزاجها الفوري بالتجربة القاسية والمرة».

كانت نظرات الشاب حادة وغريبة إلى حد ما، وكان شعره مجعدًا ويحيل إلى كثير من الغموض. أما ساعة اليد التي يرتديها، فما كانت تعمل وعقاربها منزوعة. لكن رغم هذا الوصف البشع، والملامح التي لا تحمل معنى أبدًا، فإنه يمتلك كلمات ساحرة مليئة ببعض من السم، إلا أن فيها جانبًا جيدًا وجدت فيه «عواطف» راحتها.

أجنحة الزمن تمر دون استئذان، ولا تمنح أيًّا كان لحظة للتفكير، كان الموسم الدراسي في أواخره، ويحتاج حينها التلاميذ إلى متنفس يريحهم قليلًا من الدروس التي تراكمت بشكل مهول، لذلك اقترح الشاب على «عواطف» أن يقوم وإياها برحلة على دراجتهما الهوائية لإحدى الغابات المعروفة هناك.

اعتذرت له بداعي أنها مطالبة بالاجتهاد أكثر في هذه الأيام الأخيرة التي تبقت لامتحان آخر السنة، لكنَّ الشاب أقنعها بطريقته، وأكد لها أنهما لن يتأخرا أبدًا، فقط بضع ساعات ويعودا لمنازلهما. وصلا إلى الغابة هناك، واستظلا تحت شجرة للزيتون، وافترشا غطاء على الأرض، وجلسا يتحدثان كثيرًا.

كانت شفتاهما ممزوجتين بلعابهما، وكانت عيونهما تلمعان بشكل لافت، كانت «عواطف» خجلة بعض الشيء، إلا أن الشاب اقترب منها

كثيرًا، وبدأ يتلاعب بخصلات شعرها الذي تفوح منه رائحة زكية. ما عادا يستطيعان الاحتمال أكثر، فمستوى الإعجاب بلغ ذروته ولم يتبقَّ سوى شيء واحد، هو الفاحشة، فكان لهما ذلك.

بعد تلك اللحظات الشهوانية العابرة عادا لمنازلهما، والندم يسري في عروق «عواطف»، أما الشاب فلم يبدِ أي اهتمام لذلك، بل على العكس كان سعيدًا جدًّا. لكن يبدو أن أحدهم قد رأى ما حدث، فقد كان قريبًا منهما، وقد عرف جيدًا الفتاة، وعلم يقينًا أنها ابنة صاحب الفندق، ولم يمر من الوقت كثيرٌ حتى شاع الخبر بين الناس جميعًا، وأصبحت القصة المشؤومة على لسان القاصي والداني.

لم يتجرأ أحد على إخبار والدها بذلك، إلا أن الخبر انتشر بشكل خاطف. بعد تلك الواقعة أصبح والدها أحمقَ يجوب الشوارع والأزقة وهو يصرخ بصوت عالٍ جدًّا: «كما تدين تدان»!

وقد بقي على ذلك الحال حتى صدمته شاحنة ضخمة أمام أحد الملاهي الليلية. ومن جهة أخرى فقد اختفت «عواطف» عن الأنظار تمامًا، ولم يعد أحد يسمع عنها شيئًا. أما فيما يخص العاملين بالفندق، فتم تسريحهم جميعًا، لأن المسؤول عنه قد فارق الحياة بعد الحادث الذي تعرض إليه.

الأمور بدأت تنفرج شيئًا فشيئًا، ولم يعد هناك أي داع لوجود «عابد» و«ياسمين» داخل ذلك الفندق اللعين، لذلك قررا العودة لمنزل الشيخ فتفاجآ معًا أنه يحتضر على فراش الموت. كان يبدو شاحبًا ومهمومًا بشكل لا يُتصور، بينما دخلت «ياسمين» إلى غرفته، وارتمت بين أحضانه متأثرة بحاله، ودموعها تنهمر بغزارة حسرة عليه، ثم عانقت كذلك أمها التي اشتاقت إليها كثيرًا.

لم تفارق «ياسمين» أباها اليوم كله، فقد كانت تعتني به بشدة، وظلت يومها ممتنعة عن الطعام... مد الشيخ يده فمسح بها وجه ابنته، وقال لها مطمئنًا: «أنا راضٍ عنك يا ابنتي»، بعد أن قال هذه الكلمات بثوانٍ قليلة، سقطت يده على السرير معلنة بذلك مصيبة الموت، ثم صرخت «ياسمين» بكل قوتها على رحيل أحب الناس إليها، وبقيت أيامًا كثيرة تغوص في دوامة من الصمت الرهيب إثر الصدمة التي تلقتها.

مات الشيخ لكنه ترك وصية أخيرة ألحَّ على زوجته «مكتوم» أن تسلمها لـ«عابد» إنْ هو فارق الحياة. وبما أن الشيخ لم يكن يعرف الكتابة، فقد كتبها له إمام البلدة، تقول الوصية:

«من «أبي ياسمين» إلى «عابد».. فإني فخور جدًّا بك، وبكل ما فعلته رغبة منك في إعادة «ياسمين» لحضن والديها، فإن كان ذلك، فاعلم أني

زوّجتك ابنتي على سنة الله ورسوله إن قبلت، وأن كل ما أملكه سيكون في تصرفك. فأنت الرجل المناسب الذي سيسعدها، وهي لن تجد أبدًا رجلًا آخر بشهامتك وأخلاقك. فأنا أعلم جيدًا مَن تكون، وأعرف والدك حق المعرفة، وأذكرك عندما كنت تنتظر ابنتي الصغيرة أمام منزلنا، وكنتما تذهبان معًا إلى المدرسة؛ لذلك أنا واثق من إخلاصك لها، وواثق كذلك أن حب الطفولة قد نما أكثر وأكثر».

أخيرًا اجتمع الحبيب بمحبوبته، وعبَّر عن حبه الشديد لها، وكانت تبادله الشعور نفسه تمامًا أو أكثر، وقد ظل أثر الحناء واضحًا على يديهما، وأخذ وقتًا طويلًا حتى اختفى.

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايينَ من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأَةِ والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.

هـذا العمـل الإبـداعي برعايـة داربسـمة للنشـر الإلكترونـي
بشـــراكة مـــع جـــروب ملتقـــى الأقـــلام المُبدعـــة...

للاطلاع على الصفحة الرسمة لداربسمة للنشر الإلكتروني على الفيسبوك، اضغط على الأيقونة.

للاطلاع على جروب ملتقى الأقلام المبدعة على الفيســـبوك، اضـــغط علـــى الأيقونـــة.

المحتويات

الفصل الأول: جرح اللسان..... 7

الفصل الثاني: الأب والضمير..... 14

الفصل الثالث: قلق مستمر 30

الفصل الرابع: صاحبة الخاتم 39

نبذة عن المؤلف

خالد الجرجيني من مواليد 1998 بمدينة الريصاني.
حاصل على الإجازة في اللغة الفرنسية-تخصص لسانيات،
وحاليا يعمل أستاذا بالثانوي التاهيلي.

عن الرواية

"صور متشابهة" ليست مجرد رواية فقط بل هي بحور من الأسى والوجع الدفين. عند كتابتي لها شعرت كأني أغوص بداخلها وأظن كذلك أنك ستشعر بنفس الاحساس وأكثر. هذه الرواية تمثل مرآة واقعية تعكس فضول الراوي لاكتشاف واقع تتجرد منه أدنى ذرات الثقة وتجعله يصرخ بشدة لعله يغير شيئا ولو بسيطا إلا أنه يستسلم بشكل غريب حتى يجد نفسه بين أحضان محبوبته التي يبدو على ملامحها بصيص من الأمل.

Bassmabook
0021277181493
Contact@darbassma.net